الذبّان والبعوض

لا تحقرنَّ عدوًّا لانَ جانبُهُ وان تراهُ ضعيفَ البطش والجَلَدِ
فللذبابةِ في الجرحِ المديدِ يدٌ تنالُ ما قصرتْ عنهُ يدُ الاسدِ

وهل درى الامير سيف الدين الظاهري ناظم هذين البيتين ان الذبابة اقوى من الاسد وافتك بالعباد حتى قال فيها ما قال او نظر الى ظاهر الامر واعرب عمَّا يشعر به الجريح من الالم اذا وقع عليهِ الذباب . ولا شبهة في ان الناس انتبهوا الى ضرر الذبان والبعوض من عهد طويل واثبت بعض حكمائهم انهما ينفعان ويضران معًا مصداقًا لقول الحديث "ان احد جناحي الذباب سمٌّ والآخر شفاء" . وقد كتب الدكتور حسن باشا محمود فصلاً طويلاً في المقتطف منذ بضع سنوات في الجزء الحادي عشر من السنة السابعة عشرة عدَّد فيهِ الامراض والادواء التي ينقل الذباب عدواها ويبتلي الناس بها ولكنهُ لم يذكر لتأييد قولهِ الاَّ امتحانًا واحدًا عمليًّا للاستاذ ساتشنكو يظهر منهُ ان الذبان تبتلع ميكروب الكوليرا فيكثر في بدنها ويخرج مع برازها

وقد عُرف من قديم الزمان ان الذباب ينقل عدوى الرمد من العين الرمداء الى السليمة وانهُ ينقل عدوى الحمرة والقرع وكثير من الادواء الجلدية لكن اثبات ذلك بالتجارب العملية حديث ومنهُ ان احد العلماء اتى باربع صحاف وضع في الاولى منها مصلاً معقمًا اي خاليًا من كل الجراثيم الحية . وفي الثانية مصلاً فيهِ جراثيم الدفتيريا (الخناق) . وفي الثالثة مصلاً معقمًا وفي الرابعة مصلاً معقمًا ايضًا واتى بذبابة من الذبان العادي وجعلها تمشي على الصحفة الاولى فالثانية فالثالثة فالرابعة ووضع الصحاف في مكان دافئ ونظر اليها بالميكرسكوب في اليوم التالي فوجد في الصحفة الاولى منها ميكروبات غير ضارَّة مما كان لاصقًا بارجل الذبابة قبل ان مرَّت على الصحفة الثانية ووجد في الصحفة الثالثة والرابعة ميكروبات الدفتيريا كثيرة في مدبّ الذبابة دليلاً على انها علقت بارجلها من الصحفة الثانية وانتقلت بها الى الثالثة والرابعة . ولو وقعت هذه الذبابة في اللبن وشربهُ الطفل لعدي بالدفتيريا او لتعرَّض للعدوى بها . وقد ثبت قبلاً بتجارب ساتشنكو Sawtschenko انهُ اذا أُطعم الذباب ميكروب الكوليرا ظهر هذا الميكروب في مبرزاتهِ الى اليوم الرابع واذا أُطعم معهُ قليلاً من المرق ظهر في مبرزاتهِ بكثرة دليلاً على انهُ ينمو ويتكاثر في امعائهِ . فاذا أُصيب انسان بالكوليرا وطُرحت مبرزاتهُ

على وجه الارض وحام عليها الذباب ثم طار ووقع في القين او الماء نقل العدوى اليها على اسهل سبيل إما بارجله او بما يأكلهُ ويبزرهُ

هذا من حيث الذبان اما البعوض (الناموس) فانتقال جراثيم الامراض به ليس على هذا النحو من الجلاء والسهولة بل فيهِ من الغموض والصعوبة ما يذهل العقول ويحيّر الافهام ويرفع قدر علماء الطبيعة الذين اكتشفوهُ بعد العناء الكثير

قلنا في الصفحة ٤٣٣ من المجلد الحادي والعشرين من المقتطف " ان الدكتور منسون يظن ان ميكروب الحمّى الملارية لا يبلغ الدرجة التي يصير فيها قادرًا على إحداث الحمى في الانسان ما لم يدخل جسم البعوض اولاً ولذلك امثلة كثيرة في الديدان التي لا يتهيأ لها الدخول في جسم الانسان مالم تدخل جسم حيوان آخر قبلهُ . ومن رأيهِ ان البعوض ينشف هذا الميكروب في المستنقعات فيشرب الانسان ماءها ويشرب الميكروب معهُ . او تجف المستنقعات وتعبث الرياح بالتراب الذي في ارضها فتنتشر هذه الميكروبات في الهواء وتدخل جسم الانسان الذي يتنفسهُ " . ثم ثبت بعد ذلك ان ميكروب الحمى الملارية ينتقل الى الانسان من البعوض الذي يلسعهُ كما ترى بين الاخبار العلمية في الجزء الاول من اجزاء هذه السنة حيث قيل " ان العلماء الباحثين في ايطاليا اثبتوا الآن بالامتحان ان الحمى الملارية تنتقل الى الانسان بلسع البعوض فانهم اتوا ببعوض من مكان تكثر فيهِ الحميات واطلقوهُ في بيت فيهِ انسان سليم فلما لسعهُ اصيب بالبرداء المثلثة " . ومن الامراض التي تعتري الناس ولاسيما المساكين الذين يسكنون قرب المستنقعات مرض يسمى داء الفيل . وقد ظنّ الاطباء من عهد قديم أن لهُ علاقة بالبعوض وبالدود الصغير الذي يوجد في دم المصاب بهِ لكن هذا الظن لم يتحقّق الى ان قام الدكتور منسون ومضى الى بلاد الصين الى جزيرة اموي حيث يكثر هذا الداء وبنى بيتًا لصيد البعوض وابحث عن علاقتهِ بهِ وكان يضع واحدًا من المصابين في سريرهِ كلّهُ (ناموسيّة) كبيرة ويوقد بجانبهِ مصباحًا اغراء للبعوض ثم ينزل الكلّة ويجمع البعوض منها في الصباح ويخرج الدم الذي امتصهُ وينظر اليهِ بالميكرسكوب فيجد فيهِ اجنّة الدود المشار اليهِ آنفًا اما الدود نفسهُ فيكون مستقرًّا في الاوعية اللمفاوية في بدن الانسان وهو الذي يسبب تضخمها المعروف بداء الفيل . وهذه الاجنّة لا ترى بالعين ولكنها تُرى بالميكرسكوب وهي خيوط دقيقة كالافاعي يحيط بكل خيط منها انبوب شفاف كأنهُ قاط لها وهي تتحرّك فيهِ وتتمعج وتطول وتقصر محاولةً الخروج منهُ كأنها تعلم ان خروجها من دم الانسان يمهّد لها السبيل لتخرج من هذا القاط ولو لم تخرج من الدم لاضطرّت ان تبقى في قاطها في

حالة الطفولية الى ما شاء الله . فلا يمضي عليها مدة طويلة حتى تخرج من الانبوب وتدخل معدة البعوض وتنتقل الى عضلات صدره وهناك يتولد فيها دم وقناة هضمية وذنب مثلث ويكبر جرمها جداً

والبعوضة التي يدخلها هذا الدود ويكبر فيها تنقطع عن الطعام وتمضي الى مستنقع من المستنقعات وتبيض على وجه الماء وتموت بعد ان تجمع بيضها في شكل قارب صغير ثم تنفصل البيوض بعضها عن بعض وتخرج منها العوّم وهي الدود الصغير الذي يرى في الماء الكاقع . اما ديدان داء الفيل المذكورة آنفاً فتكون قد بلغت اشدها في جسم البعوضة فتخرج منهُ حالما تموت وتقيم في الماء المستنقع لترصّد من يشربهُ لتدخل بدنهُ وتعيش فيهِ وتوالد فاذا اتفق انهُ شرب الذكور فقط او الاناث فقط لم يصبهُ منها ضرر واما اذا شرب الذكور والاناث معاً فتخترق القنوات المفصية وتقيم في الاوعية اللمفاوية وتتزاوج هناك وتوالد الى ان تسد الاوعية الدموية بأولادها فيتضخم الجسم التضخم المعهود في داء الفيل . وكأن الطبيعة او العناية تحفل باجنّة هذه الديدان وتهتم بها اكثر مما تحفل بالانسان وتهتم بحياتهِ لانها تنقلها الى سطح جسمهِ في الليل فقط حينما يقع عليهِ البعوض ويمتص دمهُ واما في النهار فتبقيها غائرة فيهِ بعيدة عن سطحهِ ولذلك سميت بالديدان الليلية

ولما اثبت الدكتور منسون ان البعوض ينقل داء الفيل من المصابين بهِ الى الاصحاء وعلم الاسلوب الذي ينقل العدوى بها بحث هو والماجور روس في بلاد الهند عن كيفية نقل البعوض للحمى الملارية فوجدا ان البعوض الذي اجتمعت رمادية اللون وظهرهُ كبير منتفخ ينقل جراثيم الحمى الملارية من المرضى الى الاصحاء على هذه الصورة : فاذا امتص دماً فيهِ جراثيم الحمّى نمت من بعض هذه الجراثيم زوائد تنفصل عنهُ وتدخل جراثيم اخرى فتتناقح بها وتصير قادرة على الحركة فتتحرّك وتدخل العضلات التي في جدران معدة البعوض وتتوهناك وتتكوّن منها اكياس صغيرة تنشأ من جسم البعوض وفي بعضها خيوط دقيقة وفي البعض الآخر ذرّات سوداء . وفي اليوم الثامن او التاسع تنشق هذه الاكياس ويفرغ ما فيها في بدن البعوضة فيحمل دمها الذرات السوداء الى اسجتها وينقل الخيوط الدقيقة الى الغدد اللعابية التي على جانبي خرطومها حتى اذا لسعت انساناً خرج اللعاب منها ومعهُ هذه الخيوط وامتزج بدمهِ فتؤلمهِ بلسعها وتطعّمهُ بجراثيم الحمى الملارية في وقت واحد . ثم تبيض في الماء وتموت على وجههِ وتخرج صغارها من البيض وتأكل جسمها فتبتلع الذرات الصغيرة المذكورة آنفاً ولعلها تبقى في بدنها الى ان تمتص دم انسان مصاب بالحمى الملارية وتمتص معهُ جراثيم هذه الحمى فتناقح

في بدنها من اجتماعها بهذه الذرات وتتولد فيها الخيوط تشار اليها آنفاً وتنتقل منها الى انسان سليم تلسعهُ وهلم جرًّا وقد تنتقل الى الطيور كما تنتقل الى البشر

هذا ما يدعيهُ الذبان والبعوض من نقل الامراض والفضل في تحقيق ذلك للعلماء الاوربيين والاميركيين لانهم لم يكتفوا بالآراء والظنون بل جاؤا الى البحث والامتحان وسافروا الى اقاصي المسكونة لهذه الغاية

المقامرة ومضارُّها

لا مشاحة ان سوق القمار قد راجت في هذا القطر والقطر الشامي منذ عهد قريب رواجاً لا مثيل لهُ في العصور الغابرة وتباينت درجاتهُ حتى يسهل على كل احد الاشتراك فيهِ من الامراء والاغنياء الى السوقة وابناء الازقة . وتعدَّدت اساليبهُ حتى دخل فيها ما لا يُظَن انهُ من القمار في شيء كالرهان والنصيب اللذين يكتسب بهما المرء مالاً لم يتعب لهُ ويخسر غيرهُ اموالاً لم يعوَّض عنها شيئاً ولذلك رأيت ان اجمع السطور التالية مما كتبهُ نخبة الكتَّاب في هذا الموضوع وجعلت اكثر اعتمادي فيها على كتابين لستفيلد وستيفنز وعلى مظان اخرى عربية وانكليزية فاقول

مَن تصفح تاريخ الشعوب الأُوَل رأى ان المقامرة كانت رائجة عندهم فمنهم مَن استحسنها ولم يحسب منها ضرراً ومنهم مَن ذمَّها وقبَّح نتائجها . فذمتها الشريعة الهندية القديمة وهي من اقدم شرائع الامم . وذكر المؤرخون ان الصينيين كانوا يقامرون منذ الوف من السنين وان اللعب بالورق كان منتشراً عندهم وان الاوربيين اخذوهُ عنهم . وروى المؤرخ هيرودوتس كلاماً عن كهنة مصر جاء فيهِ ان احد ملوكهم قامر الشيطان في الجحيم . وجاء في التوراة ان شاول انتُخب بالقرعة ملكاً على بني اسرائيل وان يونان حين جنحت السفينة بهِ وبالذين معهُ " ساهم القوم ايُّهم يلقى في البحر فكان من المدحرجين اي من المقمورين " . والقرعة والسهام من المقامرة كما لا يخفى . وذاعت المقامرة في عهد اليونانيين القدماء بدليل قول هوميروس الشاعر عن عشاق بنلوب امرأة عولوس انهم كانوا يلعبون بالداما وقولهِ ايضاً عن بتروكلس الذي قتلهُ هكتور انهُ كان يلعب بالنرد . وذمَّ ارسطوطاليس الفيلسوف المقامرة وانزل المقامر منزلة اللص السارق . وقال كلسترات الخطيب اليوناني ان المقامرة التي يضاعف المقامرون الرهن فيها تشبه المعارك المتوالية التي لا تنتهي إلاَّ بانقراض المتحاربين